د. عزيز حيدر*

ظاهرة اليشيڤوت (المدارس الدينية) القومية: نشوؤها، تطورها ونتائجها الاجتماعية والسياسية

مقدمة:

قام نظام التعليم في اسرائيل منذ لحظة إنشائه على التعددية. كانت هذه التعددية طوعية أو اختيارية في بعض الحالات، بينما فرضت على بعض الفئات في حالات أخرى. يمثل الحالة الأولى، أي التعددية الطوعية، الجماعات الدينية بشكل خاص والكيبوتسات. فقد اختار المتدينون المغالون، مثل الحريديم، بمحض إرادتهم الانعزال والبقاء خارج الإجماع الصهيوني. أما تيار المزراحي فقد بقي تياراً مستقلاً داخل وزارة التربية والتعليم تحت اسم «التعليم الحكومي-الديني». وتم تجسيد هذا الحق، في الحالتين، على المستوى التنظيمي وعلى مستوى المنهاج ومضامين التعليم (لام ١٩٩٧:ص. ٢١٤). ومع مرور الزمن تأكد أن للتعليم الديني نتائج اجتماعية وسياسية أدت إلى تعميق تأثير الدين على الحياة العامة وعلى النظام السياسي الاسرائيلي. ومن أبرز المظاهر التي ميزت التطورات والتحولات التي حدثت في مجال التعليم الديني، والتي تعزى لها أهمية خاصة، هي نشوء وتوسع جهاز تعليم من نمط جديد تسمى مؤسساته «يشيڤوت قومية». في هذه الدراسة سوف نستعرض تطور التعليم الديني وبشكل خاص تيار المزراحي أو التعليم الحكومي-الديني، ولكننا سوف نركز اهتمامنا على تطور اليشيڤوت القومية ومضمون التعليم فيها وعلى النتائج الاجتماعية والسياسية لهذا التطور.

التعليم الديني حتى قيام الدولة:

تعود بدايات التعليم الديني إلى الشتات اليهودي في أوروبا. كان هذا التعليم حريدياً في أساسه وكان تعزيزه، في معظم الحالات، رد فعل على خطر الانخراط والذوبان في المجتمعات الأوروبية ودول المهجر

* محاضر في جامعة القدس، وباحث في معهد تومان

الأخرى وحتى في فلسطين. لذلك فهو يركز منذ بدايته على التربية وليس على التعليم: إذ أن الهدف منه ليس اكتساب مهنة وإنما ترسيخ القيم الدينية اليهودية.

في العام ١٩٢٠ قرر مؤتمر لندن منح التعليم الديني استقلالية. وشكل هذا القرار أساساً للاتفاقات اللاحقة بين الحركة الصهيونية ثم دولة اسرائيل بعد قيامها وبين المتدينين، والتي تم تشريعها في قانون التعليم الحكومي العام ١٩٥٣ (كيل ١٩٨٦: ص ١٦٦).

منذ ١٩٢٠ بدأ التمييز بين تيار المزراحي (تيار الصهيونية المتدينة وقد تحول إلى حزب المفدال لاحقا) الذي بقي داخل الإجماع الصهيوني وتحول إلى تيار تعليم رسمي، وبين التيار الديني الحريدي المستقل، بالرغم من حصول الأخير على التمويل من ميزانية الدولة. على هذا الأساس ينقسم التعليم الديني إلى تيارين رئيسيين: التعليم الحكومي الديني والتعليم الديني الحريدي المستقل الذي يتبع حزب أغودات يسرائيل، وفيما بعد ظهر التيار التابع لحزب شاس، إضافة إلى مؤسسات خاصة أخرى، وقد ضمن (الحزب) استقلالية مؤسساته ومناهجه في جميع النواحي.

بعد قيام اسرائيل تحول تيار المزراحي إلى جهاز مستقل في إطار الجهاز العبري تحت اسم «التعليم الحكومي–الديني». وقد أقر قانون التعليم ١٩٥٣ استقلالية هذا الجهاز ووضح أن كلمة ديني تعني: طريقة الحياة وأجواء المؤسسة، المنهاج ديني، المعلمون والمفتشون متدينون ويقوم بإدارته «مجلس التعليم الحكومي الديني». وهناك مدير عام لشعبة التعليم الديني في الوزارة له نفس صلاحيات مدير عام الوزارة. أما الوضع القانوني للتعليم الديني فقد تطور حسب الاتفاقيات التي عقدت بين ممثلي حزب المفدال والحكومة في السنوات اللاحقة.

أهداف التعليم الحكومي–الديني

هدف التعليم الحكومي–الديني هو تأهيل الخريجين للاندماج في الحياة العصرية متسلحين بعقيدة دينية. بهذا فهو يختلف عن التعليم الحريدي الذي يهدف بالأساس إلى إبعاد خريجيه عن الحياة العصرية وعدم تعرضهم للعلوم العامة التي تتطلب الانفتاح وحرية التفكير (بن–نون ص١١). أما الترجمة العملية لهذه الأهداف (زئيفي ١٩٩٨: ص. ١١٧) فهي على النحو التالي:

١– تعليم ديني تقليدي لتنشئة الأطفال على قيم الدين اليهودي كأساس للعقيدة وتأدية الفرائض.

٢– تعليم العلوم العصرية المعروفة في أوروبا وأميركا بهدف منح الطلاب المعرفة والتأهيل المهني اللازمين للمواطن في مجتمع عصري.

٣– تأهيل الأولاد لبناء الوطن العبري بالتعاون مع قطاعات الأمة الأخرى.

تختلف النصوص والمضامين التي تعكس هذه الأهداف حسب نوع المؤسسة التعليمية. فالتعليم الحكومي–الديني يشمل ثلاثة أنواع من المؤسسات، وهي: المدارس العادية، المدارس التوراتية واليشيفوت:

تدرس المدارس العادية منهاجاً خاصاً في مواضيع اليهودية والتراث الفكري الديني لبني إسرائيل. هناك جزء من النصوص في مواضيع التاريخ، المدنيات، الأدب وأرض إسرائيل مطابق لما يدرس في الجهاز

طلاب مدرسة دينية «يشيفات نور اورشليم»

الحكومي العام وجزء آخر خاص بالمتدينين. أما في المواضيع الأخرى فإن جزءاً من الكتب مشترك مع التعليم الحكومي وبعضها عدلت نصوصه لتلائم التعليم الديني. كما تضاف إلى الدراسة اليومية حلقات ودورات لدراسة التوراة بعد الدوام (دغان ١٠١٤:١٩٩٩). ويمتاز التعليم الديني بأن عدداً كبيراً من مؤسساته هي مدارس داخلية.

معظم المدارس الداخلية تابعة لمنظمة «عليات هنوعر»، وقليل منها تابع لمنظمات تطوعية أخرى، ووصل عددها في العام الدراسي ٩٧/ ١٩٩٦ إلى ٢٤١ مدرسة يتعلم فيها نحو ٤١ ألف تلميذ معظمهم (٣٥ ألفاً) في صفوف المرحلة الثانوية ويشكلون ١٤٪ من مجمل طلاب هذه المرحلة في اسرائيل. وجزء كبير منها مدارس دينية، «يشيفاه» يدرس فيها عادة تلاميذ متدينون من أصل أشكنازي، لكن معظم تلاميذها من أصل شرقي (٦٦٪) (دائرة الإحصاء المركزية ١٩٩٨:١١-١٢).

يجدر الذكر أن جهاز التعليم الإسرائيلي يمتاز عن معظم أجهزة التعليم في دول العالم بكثرة المدارس الداخلية (Gottesman 1994). أما بالنسبة للمتدينين، الذين ساهموا كثيراً في إقامتها، فهذا النوع من المدارس يخدم أهدافهم التربوية. فالداخلية توفر أجواء مناسبة للتربية على قيم ومعايير دينية في بيئة مغلقة تتناسق فيها المضامين مع الحياة اليومية دون تأثير عوامل خارجية (ووزنر، غولان وعراد-ديفدسون ١٩٩٦).

تعتبر اليشيڤوت التابعة لمنظمة «بني عقيبا» أهم يشيڤوت التيار الحكومي-الديني، بسبب تحديها لجامعة بار-إيلان في المنافسة على احتلال مركز القيادة الرمزية القيمية في الجمهور الصهيوني المتدين والبصمات التي تتركها في المجال الاجتماع والسياسي. وقد شكلت دفيئة لتأهيل مستوطنين ذوي خلفية توراتية ينتمون للحركة.

في البداية أقيمت المدارس الداخلية الدينية، في أواسط الثلاثينيات، بهدف مواجهة تأثير العالم والثقافة الغربية والعلمنة. بعد قيام اسرائيل بدأ الأولاد الشرقيون في احتلال مكان الأوروبيين في المدارس الداخلية وتوسع تعليم المهن الصناعية فيها على حساب تعليم الزراعة (مأور ١٩٩٧ص.٣٣).

منذ العام ١٩٧١ وبناء على طلب الحكومة بدأت المدارس الداخلية الدينية تستوعب الطلاب من أبناء الشرائح الاجتماعية الفقيرة. بعد ذلك تأسست مدارس ذات صبغة توراتية خالصة ومدارس للطلاب المتفوقين. مع وصول المهاجرين من أثيوبيا تم استيعاب أولادهم في المدارس الدينية الداخلية بناء على قرار حكومي لاستيعابهم فقط في هذه المدارس. ثم تم استيعاب عدد من أولاد المهاجرين الروس ولكن على نطاق ضيق (المرجع السابق، ص.٣٤).

تفيد المعطيات أن ٣١,٥٪ من مؤسسات التعليم الحكومي-الديني فيها مدرسة داخلية، مقابل ١٠,٤٪ في التيار العام. كما أن ٢٧٪ من طلاب التيار الحكومي-الديني و٤٠٪ من طلاب التيار المستقل يتعلمون في مدرسة داخلية، مقابل ٤٪ في التيار العام (دائرة الإحصاء المركزية ١٩٩٨،ص. ١٢). أما في التعليم الديني فوق الابتدائي فيدرس حوالي ٥٠٪ من الطلاب في مدارس داخلية معظمها يشيڤوت.

من بين المدارس الابتدائية التابعة للتعليم الحكومي-الديني هناك ١١٥ مدرسة توراتية، أي تدرس الدين اليهودي بشكل مكثف وفي أجواء توراتية ويتعلم فيها حوالي ٣٤ ألف طالب.

لقد تأثر القطاع السكاني المتدين في إسرائيل من طابع المدارس الدينية الداخلية، التي خرجت أعداداً كبيرة من ذوي الثقافة التوراتية والعامة الذين اندمجوا في كل قطاعات المجتمع والاقتصاد. ويذكر أن عدداً كبيراً من القيادات السياسية والبلدية والاجتماعية وغيرها هم من خريجي هذه المدارس. ومعظم قيادات الشرقيين درسوا فيها (دغان ١٩٩٧:ص. ٥٢).

أما اليشيڤاه فتختص بتعليم التوراة والتلمود والشريعة والفقه اليهودي. وقد كانت اليشيڤاه من أهم وسائل الدفاع عن النفس استخدمها اليهود في أوروبا أمام العلمانية والتحديث وقامت بدور أساسي في عزل اليهود عن المحيط، كذلك فقد كانت أهم قلاع الجمهور الحريدي في معارضته وحربه ضد الصهيونية العلمانية (دون يحيا ١٩٩٨:ص. ٤٣٤)

أما بالنسبة للجمهور المتدين-الصهيوني فقد كان من الصعب عليه التكيف مع نمط اليشيڤاه لانه اختار أسلوب الانتقائية في تعامله مع الحداثة. فقد فصل بين المجالات الحياتية الموجهة من الشريعة اليهودية وبين المجالات الخاصة بحياة الفرد والمجتمع والتي لا تتعرض لها هذه الشريعة ولكنها لا تتناقض معها. ومعنى ذلك الهبوط في مركزية القيم الدينية كعامل موجه ودليل للسلوك وأسلوب الحياة في جميع المجالات (المرجع السابق ٤٣٥).

كانت هناك محاولات لاقامة يشيڤوت من نوع جديد تجمع بين تدريس العلوم العامة والتعليم التوراتي ولكن عددها بقي قليلا وفي مستوى الثانوية فقط: حتى قيام الدولة أقيمت ثلاث يشيڤوت تابعة لتيار المزراحي. وكانت منظمة بني عقيبا، التي تأسست العام ١٩٣٧، هي المنظمة الطليعية في إقامتها إلى جانب منظمة شبيبة المزراحي «نوعم». تأسست الأولى في تل-أبيب العام ١٩٣٧ (يشيڤاه الحاخام عميئيل)، والثانية يشيڤاه «بني عقيبا» في ١٩٤٠ والثالثة يشيڤاه معهد نوعم في برديس حنا ١٩٤٥.

نشط المزراحي، بعد قيام الدولة، في توسيع شبكة اليشيڤوت المهنية (التوراة والحرفة) والزراعية ولكن الظاهرة البارزة في نشاطه هي توسيع شبكة اليشيڤوت الثانوية، بهدف تنشئة طبقة مثقفة متدينة تشكل جسرا

بين الشبيبة المتدينة واليشيڤوت العليا. وهي تجمع بين تعليم اليشيڤاه الديني والتعليم العام (العلوم الطبيعية والأدبية والاجتماعية) والعيش في أجواء المدرسة الداخلية.

حتى نهاية الخمسينيات تعلم حوالي الف طالب في اليشيڤوت الثانوية وفي العام ١٩٦٠ أقيمت أول يشيڤاه للإناث وتدعى «اولباناه». حسب معطيات ١٩٩٨ هناك ٥٤ يشيڤاه ثانوية للبنين و٣٣ أولباناه للبنات، منها ١٧ يشيڤاه و١٢ أولباناه تابعة لشبكة «بني عقيبا». ووصل عدد الطلاب في جميع هذه المؤسسات إلى ٣٣ ألفاً (كاتس ١٩٩٩: ص ١٠٢٧). أما اليشيڤاه العليا الوحيدة من النمط التقليدي التي ربت طلابها على التعامل مع المشروع الصهيوني والانفتاح على المجتمع اليهودي عامة فهي يشيڤاه «مركاز هراب» التي أقامها الحاخام يتسحاق كوك، الحاخام الرئيسي الأول في البلاد.

منذ بداية القرن أقام جزء من اليشيڤوت الأشكنازية معاهد لتأهيل المعلمين وأدخلوا إلى منهاجها علوماً أخرى (المرجع السابق: ص ١٠٢٦). معظم اليشيڤوت هي مؤسسات داخلية. ولكن في العقد الماضي مارس الأهالي ضغطاً لتحويلها إلى مدارس عادية للدوام اليومي مما أسفر عن تحويل اليشيڤوت في المدن إلى مدارس عادية، وكذلك فإن يشيڤوت الإناث هي نصف داخلية، أي تقضي الطالبة فيها ليلتين في الأسبوع. يذكر أن جميع اليشيڤوت التابعة لتيار المزراحي تؤهل الطلاب لتأدية الخدمة العسكرية وأما الأولباناة فتأهل الخريجات لتأدية الخدمة الوطنية بدلاً عن العسكرية (المرجع السابق: ص. ١٠٢٩)

ما زالت حركة بني-عقيبا تحتل الصدارة بين منظمات الشبيبة في إسرائيل وينتمي إليها حوالي ٥٠ ألفاً، ولكنها تواجه خطر التفكك والانحلال بسبب إقامة فروع ذات توجهات مختلفة ومتناقضة حول فصل الذكور عن الإناث (بن نون ٢٠٠٠: ص. ١٨).

تعتبر اليشيڤوت التابعة لمنظمة «بني عقيبا» أهم يشيڤوت التيار الحكومي-الديني، بسبب تحديها لجامعة بار-إيلان في المنافسة على احتلال مركز القيادة الرمزية القيمية في الجمهور الصهيوني المتدين والبصمات التي تتركها في المجال الاجتماع والسياسي. وقد شكلت دفيئة لتأهيل مستوطنين ذوي خلفية توراتية ينتمون للحركة. في عقدها الأول لم تشمل التعليم الثانوي وفقط في العام ١٩٥٠ افتتحت فيها مدرسة ثانوية. مع تطور اليشيڤوت الثانوية حدث نوع من التمرد على أهداف حركة «بني عقيبا» بسبب نشوء جماعات طلاب ترفض الانغماس في العمل اليومي في الكيبوتس المتدين وتسعى لتخصيص حياتها للدين والقيام بالفروض الدينية والدعوة فقط. كان الحل في التوصل إلى اتفاق من شقين: الأول هو استحداث فرع خدمة عسكرية في الناحال لطلاب اليشيڤاه، والثاني هو حصول بقية اليشيڤوت الثانوية على استقلالية معينة في القضايا التربوية (كلاين ١٩٩٨: ص. ١٤٠)

مشاكل التعليم الحكومي-الديني

يواجه التعليم الحكومي الديني منذ فترة طويلة أزمات حادة لأسباب عديدة (بن نون ٢٠٠٠: ص. ١٣):

اولاً، بسبب تعزيز التوجه العلماني- الراديكالي في الجمهور الاسرائيلي. فالمتدينون يرون أن الفوضى والإباحية في الأخلاق يسودان المجتمع ما يسهم في زيادة انعزالهم بدل الاندماج، وكذلك تعزيز التطرف والتوجه الحريدي كرد فعل على التوجهات السائدة. في الوقت نفسه فإن تعاظم التوجه الحريدي-التوراتي وتعزيز قوة الحريديم في النظام السياسي يؤديان إلى التطرف الديني والسياسي في الجمهور الصهيوني المتدين دفاعاً عن مصالحه.

ثانياً، ضعف القيادة الدينية-الصهيونية أمام التطرف الديني ورفض سلطة الحاخامية الرئيسية من جانب الحريديم وإصدار فتاوى متطرفة. هذه التطورات تضعف موقف الجمهور الصهيوني-المتدين عامة وتؤثر سلبياً على مؤسساته التعليمية.

ثالثاً، تسببت الأزمة الأيديولوجية التي عانى منها الجمهور الديني-الصهيوني في أعقاب معاهدات السلام في حالة ارتباك وحشر الأيديولوجية في الزاوية. أدى ذلك إلى انقسام الشبيبة بين فئة تدعم الاستيطان بحماس وبين فئات تبحث عن مجالات نشاط مقبولة على الجمهور الإسرائيلي.

رابعاً، ضاعف تعزيز أهمية التعليم والثقافة العامة بين الجمهور المتدين من التأثيرات العلمانية على الشباب في مؤسسات التعليم العالي.

كل هذه الأسباب ساهمت في إضعاف اليشيڤاه الثانوية، وأصبح الكثيرون ينفرون من تعليم أولادهم في الداخلية ويميلون إلى إرسال أولادهم إلى المدرسة الحكومية-الدينية. وبالمقابل يتعزز وينتشر التعليم الحريدي الصوفي. لأنه يزود الشباب بإجابات روحانية لحالة الارتباك التي يعيشها هؤلاء. وهذا الأخير يتصف بالانقطاع عن الواقع ويبني الحواجز مع العالم المتطور والعلم، ولكنه يتحول إلى حريدي-قومي (بن نون ٢٠٠٠: ص. ١٦).

على هذه الخلفية قوي التيار الحسيدي المتمثل بفكر الراب كوك وحسيدوت بارسلاب، وهذا التيار يوفر أجوبة روحانية سهلة ومقنعة حول

تتميز اليشيڤاه الصهيونية بالروح والخصائص ذات الطابع الثوري المتمرد. فقد أسسها تيار عارض التيار الديني-القومي التقليدي من جهة، والتيار الحريدي من جهة أخرى. وكانت قد رفضت منذ البداية الاندماج في النظام القائم بل هدفت إلى صياغته من جديد وقيادته. فبدل المجتمع الصهيوني الديني المتفرع عن الصهيونية الحاكمة أرادوا إقامة مجتمع موازٍ وتحويله إلى مجتمع بديل لمجتمع الأكثرية الحاكمة.

القضايا الساخنة التي تسبب الارتباك والتشكك وخاصة لدى الشباب.

تطور اليشيڤوت القومية

قبل قيام اسرائيل وفي السنوات الأولى بعد قيامها، كانت الأصولية من سمات الحريديم الذين عارضوا الصهيونية أو تحفظوا منها خاصة فعاليتها السياسية. لذلك لم تكن الأصولية الدينية اليهودية مصدراً للفعالية القومية–السياسية، بل كان هناك تعزيز متبادل بين التدين والاعتدال السياسي.

ما زالت هذه السمة المميزة للحريديم الذين تسود بينهم النظرة التقليدية التي ترى تعارضا بين الدين اليهودي وبين الفعالية القومية–السياسية، خاصة بأشكالها المتطرفة.

أما في الجمهور الصهيوني المتدين فقد سادت النظرة للصهيونية كحركة خلاص قبل الدولة، وبعد قيامها نظروا إلى الدولة كبداية الخلاص. مع ذلك لم يتجه هذا الجمهور قبل الدولة وفي السنوات الأولى لقيامها نحو التطرف السياسي وكان من مميزاته بالذات الموقف المعتدل والبراغماتي في المجال السياسي.

فقد كان موقفهم أن المجهود لإقامة الوطن القومي لا يعني السماح باستخدام غير محدود للقوة بغرض تحقيق هذا الهدف. وبعد قيام الدولة اعتقدوا أن كونها تشكل بداية الخلاص يجب ألا تقف حائلاً أمام احتمالات فرص تحقيق السلام مع الدول العربية، حتى لو كان ذلك يعني التسليم بتقسيم البلاد (دون يحيا ١٩٩٨: ص. ٤٤٢).

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: كيف تحول التعليم في اليشيڤاه من تعليم يرعى ويغذي ويكرس اللامبالاة السياسية في الجمهور الحريدي، إلى عامل يشجع أشكالاً متطرفة من الفعالية السياسية حين تم نسخها في أوساط الجمهور الصهيوني المتدين؟

شكل نشوء اليشيڤوت الثانوية من جانب تيار المزراحي نقطة انطلاق لبداية تطور اليشيڤوت القومية. أما السبب الذي دفع المزراحي إلى تبني هذا النمط من المؤسسات فهو اعتبارها وسيلة للرد على ظاهرة ابتعاد الشباب التابعين للتيار الصهيوني المتدين عن أسلوب الحياة الديني.

وكان هذا النمط من اليشيڤوت مختلفاً عن اليشيڤاه التقليدية من جهة، وعن مؤسسات تعليم الجمهور الصهيوني المتدين، الذي اتخذ طريق الفصل بين مجالات الحياة المختلفة في مواجهة الحداثة، من جهة أخرى. فهذا النمط اتجه نحو توسيع (بسط) تأثير الدين في جميع مجالات حياة الفرد والمجتمع ومنحها معنى دينياً حتى لو كانت ذات علاقة بالتحديث. وكان ذلك نتيجة لتبني مؤسسات التعليم الحديثة وفي مركزها اليشيڤوت القومية فكر الحاخام كوك ونشره. فقد منح الحاخام كوك في تعاليمه معنى دينياً للصهيونية ودولة اسرائيل معتبراً إياها من علامات الخلاص بمعناه الديني. ولكن الولاء المطلق بقي للقيم الدينية واعتبارها المصدر الرئيسي (المرجعية) للسلطة والتوجيه.

كان تعليم التوراة في اليشيڤاه التقليدية الأساس الوحيد الذي حاز على شرعية وموافقة، على اعتبار أنها هي الهدف وهي الوسيلة في الوقت نفسه. وحسب وجهة نظر مؤسسيها ومقرري أيديولوجيتها ليس هناك مكان للعلوم الدنيوية أو للنقد، ليس هناك مكان لتعليم البنات في اليشيڤاه وليس هناك مكان للتدريب العملي لإتقان أية مهنة. فالتعليم مناقض للعمل الدنيوي وهدفه عدم وجود هدف محدد، أي أن تعليم التوراة لذاتها كفرض ديني (بار–ليب ١٩٩٨: ص.١٠٨).

أما اليشيڤاه الحديثة، في فلسطين والخارج، منذ الأربعينيات، فقد اختصت بالتعليم فوق الابتدائي وتنوعت تخصصاتها (الثانوية والمهنية والزراعية) وفي المستوى فوق–الثانوي اليشيڤاه–الجامعة، يشيڤاه هسدير، المعاهد العليا للتوراة، يشيڤوت الكيبوتس المتدين، يشيڤاه قبل الخدمة العسكرية). كما أنه منذ الستينيات تأسست مدارس حديثة لتعليم البنات مرادفة لليشيڤاه ولكن مع التأكيد على عدم تسميتها يشيڤاه (مثل الأولبناه للبنات، المدرشاه «المعهد» والكلية).

يمكن تلخيص الفروق بين اليشيڤاه التقليدية والحديثة على النحو التالي (المصدر السابق، ص.١١١–١١٢:

درس في تعاليم
الدين اليهودي

أولاً، في اليشيڤاه التقليدية لم يحصل الخريجون على شهادة البجروت، ولذلك فقد حرموا من الدراسة في الجامعة بشكل مخطط ومقصود. بينما في الحديثة يتعلم الطلاب للحصول على البجروت ومعظمهم يلتحقون بالجامعات.

ثانياً، في اليشيڤاه التقليدية بذل مجهود لتربية الطلاب على المحافظة على تقسيم العمل التقليدي في العائلة بين الرجال والنساء. بينما في الحديثة لا يتعرضون لهذا الموضوع تقريبا، وبهذا يبدون مرونة في مسألة تقسيم العمل. كما أقيمت مؤسسات للإناث مرادفة لليشيڤاه يتعلمن فيها المهن.

ثالثاً، في اليشيڤاه التقليدية يبذل جهد كبير لمنع الطلاب من الخدمة العسكرية. بينما في الحديثة معظم الخريجين أو الطلاب يؤدون الخدمة. وفي العقد الأخير بلغ التجنيد أبعاداً لم تكن معروفة من قبل (كميا ونوعيا).

رابعا، في اليشيڤاه الحديثة يبرزون أهمية النشاط اللامنهجي خلال الدراسة. فهناك أهمية كبيرة للمناسبات والحفلات والطقوس والنشاط في حركات الشبيبة المتدينة وغير ذلك. يجدر الذكر أنه في العقد الأخير بدأ أيضاً الاهتمام بقضايا فكرية عامة في اليشيڤوت.

لكن نظراً للتحولات التي مرت بها اليشيڤاه الحديثة فقد حدث اقتربت من نمط اليشيڤاه التقليدية إلى حد كبير. إذ تشكل اليشيڤاه التقليدية أو الحديثة إطاراً يعبر عن ويرعى وجه نظر وأسلوب حياة أصولياً، فهي أكثر من مجرد مؤسسة تعليم. هي إطار حياة شامل تستمد معنى وجودها من الدين وهو الذي يبلور بشكل مطلق ومتفرد مجمل أهدافها ومضمونها. والتعليم في اليشيڤوت حسب مثالية «التوراة من أجل التوراة» الذي يشكل قيمة أساسية في اليهودية التقليدية. هذا التعليم لا يهدف إلى تحقيق أهداف مهنية عملية. ففي اليشيڤاه لا تعقد امتحانات بشكل مكثف. وهي تعمل على تماسك طلابها كجماعة وتعزلهم عن العالم الحديث- العلماني-خارجها وترعى وتغرس مرجعية المصادر النظرية المقدسة التي يدرسها الطلاب وكذلك مفسروها ومن ضمنهم قيادات اليشيڤاه ومعلموها.

بهذا فأن اليشيڤوت الجديدة تقوم بمهمة رئيسية في تعريض الجمهور المتدين-الصهيوني لوجهات نظر ولأنماط سلوك ذات طابع أصولي كانت سابقا من سمات الجمهور الحريدي. ورغم أن نوعي اليشيڤوت يرعيان أصولية دينية فإن الاستنتاجات المترتبة عليه في المجال السياسي مختلفة وفي معظم الأحيان متناقضة. (دون يحيا ١٩٩٨: ص. ٤٣٣).

صراع الدين مع العلم: صراع اليشيڤوت مع جامعة بار-إيلان

أقام فرع المزراحي (الصهيونية المتدينة) في الولايات المتحدة جامعة بار-إيلان على نمط الجامعات الكاثوليكية هناك. في البداية كان الهدف تربوياً وفي المركز الثاني يأتي تعليم المهن والتخصص. وتم دمج تعليم المبادئ الأساسية في اليهودية في المناهج وفرضت الرقابة على المضامين (كلاين ١٩٩٨: ص. ١١٥). ولكن المعايير الأكاديمية، التي حددها مجلس التعليم العالي الإسرائيلي فرضت في الجامعة بالتدريج. وقد تبنت الجامعة هذه المعايير في التدريس والبحث العلمي حتى في تدريس اليهودية. وبعد عقد من إقامتها سادت المعايير الأكاديمية في جميع نشاطات

الجامعة.

لم تستطع الجامعة أن ترسخ وتكرس مكانتها كمؤسسة مركزية في حياة الجمهور القومي المتدين، خاصة في مسألة إنتاج وبلورة قيمه ومعاييره وفكره، رغم أنها اتخذت إجراءات منذ العام ١٩٧٧ لتعزيز صبغتها الدينية (المرجع السابق، ص. ١٣٦).

رفضت الصهيونية المتدينة في البلاد النهج الأكاديمي الذي تبنته جامعة بار-إيلان منذ البداية واعتبرت أن وظيفة الجامعة تنحصر في التعليم والتأهيل المهني لا غير. وقد ساهمت حرب ١٩٦٧ في إثبات صحة توجهها الأيديولوجي الصهيوني المتدين ومكنت من تحول اليشيڤاه إلى منظمة ومؤسسة تتحدى الأسس التي تقوم عليها الجامعة. في هذه الفترة، أي بعد ١٩٦٧، تحولت اليشيڤاه إلى مركز إنتاج القيم والمعايير في الجمهور الصهيوني المتدين. وهكذا وجدت العقيدة الخلاصوية الدينية-القومية ذات الطابع الشمولي. فالقومية تحولت إلى جزء عضوي من عقيدتهم الدينية الخلاصوية وأما التدين فتحول إلى جزء أساسي فيها وحتى في مركزها، أي: تحولت من صهيونية متدينة إلى دين صهيوني. وأصبحت أرض إسرائيل هي المركز في عقيدتهم بدل دولة إسرائيل ومعناها ليس سياسياً بل ديني شمولي. ولم يعد ممكناً الفصل بين الدين والدولة، لأنه ليس هناك مجال يقع خارج أحكام الدين.

من هنا فقد تعززت مكانة اليشيڤاه وتحولت، كما ذكرنا، إلى مركز إنتاج القيم والمعايير في الجمهور الصهيوني المتدين. وبهذا فقد تفوقت، في أوساط الجمهور، على جامعة بار-إيلان وعلى المعايير الأكاديمية التي تبنتها وطبقتها. ولذلك فقد هبطت الشرعية الدينية للجامعة وأصبحت تستند في شرعية وجودها إلى القيم الأكاديمية والمجتمع الأكاديمي واستوردت جزءاً كبيراً من قيمها من الصهيونية العلمانية.

تجاوز موقف الصهيونية المتدينة رفض الأسس التي قامت عليها جامعة بار-إيلان إلى نقد تيار التعليم الحكومي-الديني عامة، بأنه منفتح وشعبي ولا يطبق مبدأ التفوق أو التميز بمعناه الديني. ونتيجة ذلك أقام خريجو يشيڤاه «مركاز هراب» في القدس جهازاً منافساً أسموه «نوعم» للتعليم الابتدائي وهو نخبوي وانتقائي ويشمل عدداً قليلاً جداً من الشرقيين (Gaziel, 1993: ٨٤). تعزز هذا الاتجاه بسبب استلام اليمين سدة الحكم في ١٩٧٧ كما سنوضح ذلك لاحقاً.

وهكذا تحولت اليشيڤاه من صهيونية متدينة إلى متدينة صهيونية. وقد لاءمت الأحزاب الدينية نفسها مع هذا التغير وتحولت إلى دينية صهيونية وخاصة المفدال، التي أصبحت تمثل القيم والمعايير التي تنتجها اليشيڤاه.

تتميز اليشيڤاه الصهيونية بالروح والخصائص ذات الطابع الثوري المتمرد. فقد أسسها تيار عارض التيار الديني-القومي التقليدي من جهة، والتيار الحريدي من جهة أخرى. وكانت قد رفضت منذ البداية الاندماج في النظام القائم بل هدفت إلى صياغته من جديد وقيادته. فبدل المجتمع الصهيوني الديني المتفرع عن الصهيونية الحاكمة أرادوا إقامة مجتمع موازٍ وتحويله إلى مجتمع بديل لمجتمع الأكثرية الحاكمة.

التوجه الفكري في اليشيڤوت

كانت اليشيڤوت قد تبنت توجهاً ومضموناً فكرياً يعتبران في نظر القوميين المتدينين أكثر التحاماً بالواقع وبالأحداث التاريخية. وكان هذا التوجه قد تبلور في مرحلة مبكرة من قيام الدولة.

فمنذ أوائل الخمسينيات استخدمت في التدريس نصوص من فكر الحاخام كوك. ومنذ الستينات تحول الحاخام كوك وفكره إلى موضوع تدريس لجميع الأجيال. تؤكد النصوص على مركزية «أرض إسرائيل» وأهمية العودة إليها وتقديس فكرة بقائها كاملة والاستيطان فيها (سيلبرمان-كلير ٢٠٠٠: ص. ١٤٦).

ساهم فكر الحاخام كوك بالذات في تبني اليشيڤوت أيديولوجية دينية-قومية منذ قيام اسرائيل وقد تعززت وتطرفت مع مرور الوقت بحيث تحولت إلى بؤر للتعصب الديني-القومي خصوصاً في الأعوام الثلاثين الماضية. وقد تكون طبيعة اليشيڤاه قد ساهمت في ذلك، إذ أنها عادة تكون مدرسة داخلية، مع كل ما توفره من شروط مناسبة للتربية الأيديولوجية. كما ساهمت في هذا التحول إقامة يشيڤوت هسدير العسكرية.

مع إقامة يشيڤوت هسدير التي تكمل ما بدأته اليشيڤوت الثانوية تحت رقابة رجال الدين الذين ينتمون إلى أفكار الحاخام كوك، تحولت الخدمة العسكرية والتفوق فيها والروح القتالية إلى مهمة جماعية تهدف إلى قيادة المشروع الصهيوني. فقد أرسل الشباب بشكل واع ومحسوب إلى مواقع القيادة في الجيش مع المحافظة على العلاقة مع اليشيباة من خلال استخدام يشيڤوت هسدير، وبهذا تشكلت عسكرية تأتمر بأمر رجال الدين الذين يحملون فكر الحاخام كوك (كلاين ١٩٩٨: ص.٩١).

في الستينيات كانت قد وصلت إلى يشيڤاه «مركاز هراب» في القدس مجموعة طلاب كانت قد تبلورت في الخمسينيات تحت اسم «الجمرة». وكان أفرادها قد خصصوا جهدهم لدراسة فكر الحاخام كوك الأب. واستطاعت هذه المجموعة أن تحول اليشيڤاه المذكورة إلى

يشيقاه ذات أثر في الجمهور الصهيوني المتدين (المرجع السابق، ص. ١٤٢).

تحولت يشيقاه مركاز هراب بقيادة الحاخام تسفي يهودا كوك الابن إلى أهم المؤسسات التعليمية التي ساهمت في تبني الفكر الديني–القومي المتطرف بعد ١٩٦٧. فقد أصبحت عاملاً مركزياً في ترسيخ مكانة اليشيقاه كمؤسسة تعليمية–تربوية وبادرت إلى إقامة اليشيقوت الثانوية الداخلية ووفرت من خريجيها كادر المعلمين. ولكن مركزيتها وأهميتها تبلورت من خلال النشاط الفكري الذي قامت به. فقد نشطت في تعليم وبلورة وتعميق وحتى تعديل وتغيير فكر الأب، في الجمهور الصهيوني المتدين، عن طريق إضافة التشديد على مركزية الأرض في حياة اليهودي. ركز الفكر الذي نشروه على ثلاثة أسس مهمة: ١– التشديد على الأرض في الثالوث المقدس (حسب فكر الأب) التوراة، الشعب والأرض ومنح كل قطعة أرض معنى مقدس، ٢– التشديد على معنى النجاح كمؤشر تاريخي على صحة الأيديولوجية الدينية–الصهيونية (نجاح الصهيونية في إقامة الدولة وحرب ١٩٦٧)، ٣– التشديد على الدور الخاص المنوط بالصهيونية المتدينة وخاصة الشباب في العمل من أجل السيطرة على المشروع العلماني (الدولة) وتوجيهه بما يخدم الغاية النهائية–الخلاص (ريخلبسكي ١٩٩٨: ص.٨٥). استغل هؤلاء الفراغ الأيديولوجي الذي ساد بعد حرب ١٩٦٧ وعدم وجود سياسة واضحة حول مصير المناطق المحتلة وجهدوا في تجديد الصهيونية بواسطة استعمال الرموز والأسس الثقافية التقليدية وتطعيمها بالمبادئ الدينية. وبهذا نشأت حركة سياسية اجتماعية استيطانية دينية (غوش إمونيم). وكان تأثيرها عميقاً في صبغ الهوية القومية والسياسية بصبغة دينية من خلال تأكيد يهودية الدولة على حساب إسرائيليتها وقامت بدور كبير في استيطان الأراضي المحتلة. وقد تعززت حركة الاستيطان إثر الانقلاب السياسي في ١٩٧٧ الذي أوصل اليمين إلى الحكم. والذي فتح الطريق للاستيطان، وبسبب هبوط وانطفاء صورة الصابرا كقدوة مثالية. وبهذا انتقلت الطليعية في الاستيطان إلى الصهيونية المتدينة. وكذلك انتقل مركز الصهيونية المتدينة إلى المستوطنات في المناطق المحتلة (المرجع السابق، ص. ٨٧).

تتشكل قوة حركة غوش إمونيم وحركة الاستيطان عامة من تيارين رئيسيين: أولاً، القوميون الراديكاليون وهم متدينون ولكنهم لا يقيمون الفرائض الدينية ولا يؤسسون مواقفهم على الدين وإنما على الاعتبارات الأمنية.

ثانياً، الأصوليون الراديكاليون وهم أصحاب فكرة شمولية تحوي القيم والرموز القومية ويتبنون مواقف سياسية متطرفة يفهمونها ويعتبرونها جزءاً أساسياً من منظومة شاملة من العقائد وأنماط الحياة وهي، أي المنظومة، مستمدة من الشريعة والتقاليد الدينية وموجهة بواسطتها.

يستمد أصحاب هذه التوجه فكرهم من اليشيقوت القومية خاصة يشيقاه مركاز هراب واليشيقوت التابعة لها ومعظمهم من مدرسي وطلاب وخريجي هذه اليشيقوت. وكان هؤلاء قد قاموا بدور أساسي في تأسيس حركة غوش امونيم العام ١٩٧٤ وقادوها في بداية نشوئها وبعضهم استمر يؤثر عليها بمدى كبير. فقد تأثرت الحركة كثيراً بفكر الحاخام تسفي يهودا كوك الابن (أران، ١٩٨٦). أدارت الحركة صراعاً عنيدا مع حكومات اسرائيل ضد إعادة أراضٍ لمصر وسورية ضمن الاتفاقات السياسية المؤقتة ومن أجل إقامة المستوطنات في الاراضي المحتلة. وكان الحاخام تسفي يهودا كوك قد عبر عن عدم شرعية أي قانون أو قرار حكومي يتعارض مع مبدأ «أرض إسرائيل الكاملة» تحت السيادة اليهودية.

شكل طلاب اليشيقوت رأس الحربة في فعاليات الاحتجاج والاستيطان التي قامت بها الحركة. إذن فقد شكلت اليشيقاه المؤسسة الرئيسية للتوجيه والتنشئة والوعظ ولكنها لم تتوجه نحو الانعزال عن المجتمع اليهودي والمشروع الصهيوني وإنما قاعدة للانتماء للمجتمع والحركة الصهيونية ومنحت هذه الحركة معنى دينياً.

أدى تغلغل الخطاب العقائدي للثقافة الاسرائيلية إلى تشويه وتمويه الفرق بين المواقف الاجتماعية والمواقف السياسية وخلق قطبين ثقافيين: ثقافة اليمين التي تضم جماعات دينية وعلمانية قومية متطرفة تطغى على الفروق الإثنية والطبقية، مقابل ثقافة اليسار المركبة من الطبقة الوسطى والعليا من العلمانيين الليبراليين المتعلمين وغالبيتهم من الأشكناز.

كان في منح المشروع العلماني الحديث معنى دينياً مطلقاً أساس للتطرف السياسي خاصة بعد حرب ١٩٦٧. وقد أقيم عدد من اليشيقوت العليا من نفس نمط «مركاز هراب» تتسم بموقف إيجابي من الصهيونية والدولة والموقف الإيجابي لا بل الإلزامي من الخدمة العسكرية التي اعتبرت فرضاً دينياً.

يمثل طلاب يشيقاه «مركاز هراب» واليشيقوت التابعة لها (القومية) النمط الأصولي المثالي بين طلاب اليشيقوت في الجمهور الصهيوني المتدين. وقد عبرت أدبيات اليشيقوت القومية وفعاليات حركة غوش إمونيم عن فكرة الخلاص بشكلها المتطرف. فالمشروع الصهيوني ودولة اسرائيل هما مؤشرات «كشف» مقدسة لعملية الخلاص موجهة من الله ولا يمكن منعها، وعلى الشعب أن يلعب دوراً فعالاً في هذه العملية حتى تحقيق نهايتها. يلاحظ هنا الدمج بين الموقف الانعزالي وحتى العدائي من ثقافات وشعوب أخرى والذي استمد من اليهودية التقليدية وبين الفعالية القومية – السياسية النشطة ومنبعها الصهيونية الحديثة.

أما الصهيونية المتدينة التقليدية فلم تقبل بهذا الفهم. فهذه رفضت

اللامبالاة السياسية وأيدت الصهيونية في استخدام القوة في الصراع من أجل التحرر ولكنها دمجت الفعالية السياسية مع بذل الجهد لتحقيق المشروع الصهيوني بالطرق السلمية والتعاون مع شعوب أخرى (دون يحيا ١٩٩٨: ص. ٤٤٣)

أما موقف الجمهور المتمركز باليشيڤوت القومية فيدمج بين الخصوصية التقليدية وبين الفعالية السياسية على طريقة مركاز هراب خاصة فكر الحاخام تسفي يهودا كوك.

أدى تفعيل الميول الخصوصية والتقليد إلى تطور مواقف سياسية راديكالية في العلاقات مع العرب وبقية الشعوب. تأثرت هذه التطورات من نمو وتوسع جهاز اليشيڤوت القومية الذي ساهم في تعزيز تأثير «مدرسة مركاز هراب» في المعسكر الصهيوني–الديني. وكانت هذه التطورات متلازمة مع أحداث تاريخية عززت تأثير المزج بين الخصوصية التقليدية وبين النشاط السياسي في الجمهور المتدين في اسرائيل وهي: الكارثة، حرب ١٩٦٧، حرب أكتوبر ١٩٧٣. فالحرب بالذات ألهبت الحماس الخلاصوي المسيائي في الجمهور المتدين الذي ترجم للغة ايديولوجية وعملية بواسطة حركة «غوش ايمونيم» وعلى رأسها طلاب يشيڤاه «مركاز هراب». هذا الى جانب تطورات اجتماعية وثقافية مثل انطفاء وهج الأيديولوجية الصهيونية العلمانية. كما كان لهذه الأحداث، خاصة الحروب، تأثير عميق على نظرة طلاب اليشيڤوت القومية إلى النخب السياسية الحاكمة: فقد شكلت حركتهم تمرداً هو أول رفض من نوعه لهيمنة النخب الأشكنازية عامة وهو يشكل أيضاً تمرداً على الصهيونية العلمانية. فحسب تفسيرهم لنظرة الحاخام كوك هناك خطة ربانية في إطارها وصل العلمانيون نهاية دورهم في بناء الدولة اليهودية. ولكن العلمانيين لا يفهمون أن عليهم إخلاء مكانهم. وإذا لم يفعلوا ذلك فإنهم قد يشوشون العملية الخلاصوية التي لها مؤشرات واضحة مثل حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣: فالأولى تؤشر إلى نهاية مرحلة بداية الخلاص، والثانية بمثابة إنذار لإصلاح الشذوذ عن الخط الذي يؤدي إلى الخلاص.

زود المتدينون القوميون الأساس الفكري الديني لحركة أرض إسرائيل الكاملة التي بدأت كحركة علمانية، وأعطوا الشرعية لحركة الاستيطان في المناطق المحتلة من جانب الجماعات الدينية. وكما ذكرنا هم الذين أقاموا حركة غوش إمونيم. لكن مضاعفات تأثيرهم كانت أعمق عن طريق صبغ الهوية القومية والسياسية بصبغة دينية وتأكيد يهودية الدولة (كيمرلنغ ٢٠٠١: ص. ٣٥). ومما يؤكد نجاحهم في ترسيخ الثورة، عملية الاستيطان الواسعة بعد العام ١٩٧٧ وكونهم استطاعوا تحويل السكن في المناطق إلى بديهية. كذلك نشطوا في نشر الخطاب الأيديولوجي، فأسسوا المجلة الشهرية «نكوداه» في العام ١٩٧٩. ومنذ

في احدى المدارس الدينية

١٩٨٨ بدأ عمل محطة الراديو عروتس ٧ (القناة السابعة) وكذلك قنوات الإنترنت.

كما أشرنا، يعتبر نشاط وفعالية وتأثير الجيل الجديد من شباب الصهيونية المتدينة تمرداً، وهو بمثابة رفض النظام الاجتماعي القائم ورفض جيل الآباء الذي فشل في القيام بالدور التاريخي المنوط به، كما يراه هؤلاء، وهو جذب الشعب إلى الدين وتحويل الدولة إلى دولة التوراة. وبدل ذلك اكتفى جيل الآباء بوضعه الهامشي في النظام بين العلمانية من جهة، وبين الحريديم المنعزلين من جهة أخرى (المرجع السابق: ص. ٣٢–٣٣).

بمدى معين تسببت نفس الاحداث التي انتجت تمرد الشباب الصهيوني–المتدين في تغلغل توجهات فعالة الى اليشيڤوت الحريدية. ومع أن هذه اليشيڤوت تبقى متميزة عن الحديثة في ميولها للعزلة الموجهة للعالم الغربي الحديث والانفتاح على اليهود، يلاحظ تغلغل الميول نحو الفعالية النشطة إلى الجمهور الحريدي، خاصة بين الشباب. والمزج بين هذه العناصر وبين الميول الخصوصية التقليدية في أوساط الحريديم ينعكس في مواقف سياسية متطرفة ولكنها لا تحظى بشرعية من جانب الفقهاء ورجال الدين.

أثرت هذه الحركة على التيارات الحريدية، خاصة حركة حباد، التي نشطت في سبيل الوصول إلى الخلاص مستخدمة الشعارات القومية اليهودية. ونتيجة لهذا التقارب ولد صنف جديد من التعصب القومي اللاصهيوني الحريدي الأشكنازي والشرقي. وقد نشطوا في إنتاج ثقافة مناقضة للثقافة الأشكنازية السائدة.

أدى تغلغل الخطاب العقائدي للثقافة الاسرائيلية إلى تشويه وتمويه الفرق بين المواقف الاجتماعية والمواقف السياسية وخلق قطبين ثقافيين: ثقافة اليمين التي تضم جماعات دينية وعلمانية قومية متطرفة تطغى على الفروق الإثنية والطبقية، مقابل ثقافة اليسار المركبة من الطبقة الوسطى

والعليا من العلمانيين الليبراليين المتعلمين وغالبيتهم من الأشكناز.

بداية الخلاف والانقسام

تأثرت اليشيڤوت القومية ومواقفها الراديكالية كثيراً من رحيل زعيمها الحاخام تسفي يهودا كوك العام ١٩٨٢، دون أن يخلفه قيادي من المستوى والكاريزما نفسها يجمع بين التيارات والجماعات المختلفة. وزادت حدة هذه الأزمة في أعقاب الانسحاب من سيناء وإخلاء المستوطنات من المستوطنين في قطاع «يميت» وكذلك حرب لبنان ١٩٨٢، ثم من الكشف عن تنظيم «الشبكة اليهودية».

كان رفض الحاخام تسفي يهودا كوك لاتفاقيات السلام مع مصر عاملا مهما في اندفاع طلابه ومريديه في يشيڤاه «مركاز هراب» وفي يشيڤوت قومية أخرى في معارضة الاتفاقيات وإدارة الصراع من أجل عدم إخلاء المستوطنات في سيناء. فالكثير منهم وصل إلى هذه المستوطنات لتشجيع المستوطنين للصمود ضد الإخلاء. كان هذا النشاط ذروة في التدخل السياسي الفعال من جانب طلاب اليشيڤوت وعلى رأسهم يشيڤاه «مركاز هراب» (ويسمان ١٩٩٠).

خلال هذه الفترة ظهرت ثلاث جماعات بين طلاب اليشيڤوت ذات مواقف مختلفة من الفعالية السياسية النشطة:

الأولى، الجماعة المتطرفة أيدت المقاومة النشطة لاخلاء المستوطنات وأبدت الاستعداد للتضحية بالنفس واستخدام كل الوسائل المتاحة في الصراع، باستثناء سفك الدماء (دماء اليهود).

الثانية، الجماعة المعتدلة رأت أنه يجب وقف تنفيذ اتفاقيات السلام والانسحاب، ولكن عن طريق استخدام وسائل الإعلام والإقناع لتجنيد دعم جماهيري للتأثير على قرارات الحكومة، وإذا فشلت هذه الأساليب فيجب الخضوع والقبول بالانسحاب دون مقاومة.

الثالثة، بين الجماعتين السابقتين ورأت أنه يجب المقاومة ولكن بطرق ذات طابع غير فعال، وأنه يجب الامتناع عن المقاومة العنيفة ضد الحكومة وضد الجيش. مثل موقف الجماعة المعتدلة ثلاثة من رجال الدين أبرزهم الحاخام تسفي طاو. وأما أبرز ممثلي الجماعة المتطرفة فكان الحاخام يسرائيل أريئيل الذي طالب الجنود برفض أمر إخلاء المستوطنين والامتناع عن تنفيذه (المرجع السابق: ص. ٢٦٣).

تعمق الخلاف بين الجماعة المتطرفة والجماعة المعتدلة بسبب غياب القيادة المرجعية القادرة على حسم الموقف ما تسبب في تشتت آراء ونشاطات الجماعات الرافضة للانسحاب وصعوبة تجنيد الرأي العام لصالحها. ثم تطور الخلاف بين الفئتين إلى خلاف عام في وجهات النظر وخاصة في مسألة العلاقة بين الدين والدولة. فالحاخام طاو عزا أهمية كبيرة للرأي العام في تحديد السياسة العملية. ولكن يجب التأكيد على أن هذا الموقف لا يعكس تأييداً للنظام الديمقراطي الذي يتمثل في سيادة الشعب وقبول رأي الاغلبية، إنما هو يعبر عن الأهمية الكبيرة التي يعزوها لروح الأمة المستعار من النظريات القومية، ولكنه مشحون بمعنى ديني مقدس في أفكار الحاخام كوك. ويرى الحاخام طاو أنه في الظروف القائمة يجب التركيز على التربية وتقريب القلوب اللذين يلهبان الوعي القومي-الديني «والكشف عن النور الإلهي المقدس في مشروع النهضة القومية» (دون يحيا ١٩٩٨: ص.٤٥٠).

انتشرت هذه الاستراتيجية التربوية التي عبر عنها الحاخام طاو وتم تكريسها وأصبحت مقبولة على الأكثرية في المعسكر المتدين-القومي وسادت بين الجماعات ذات العلاقة بيشيڤاه «مركاز هراب» واليشيڤوت التابعة لها.

رفض الحاخام يسرائيل أريئيل (الذي أشغل منصب حاخام مدينة يميت) هذا التوجه معتبرا ان التربية والاستيطان يكملان بعضهما البعض باعتبارهما «أذرع القوة لشعب اسرائيل». وعبر عن وجهة نظر أصولية فعالة (نشطة) ترى في الاستيطان والعمل السياسي النشط عملا تربويا خالصا. وهو لا يعزو أية أهمية للرأي العام في تحديد استراتيجية الصراع من أجل «أرض اسرائيل» لأن الحقيقة المطلقة التي تحددها الشريعة هي المصدر الوحيد الذي يجب ان يوجه النشاط والمعيار الوحيد لتقييم الأعمال (مجلة نكوداه، عدد ٢٠: ٥-١٢-١٩٨٠)

وقد احتدت الخلافات بين وجهتي النظر بشكل خاص إثر أعمال العنف ضد العرب وخاصة الاعتداء على ثلاثة رؤساء بلديات في الضفة الغربية وكذلك الكشف عن «الشبكة اليهودية» وخطة تفجير المسجد الأقصى (سيجال ١٩٨٧: ص. ٢١٦). فقد كان الحاخام أريئيل ومريدوه الفئة الوحيدة التي عبرت علنا عن موقف مؤيد لها.

وقد تبادل المعسكران تراشق الاتهامات والهجوم الكلامي العنيف خصوصا حول معنى الخلاص والموقف من الدولة وقرارات مؤسساتها وقوانينها (المرجع السابق). وبرز بين المدافعين عن الموقف الداعي إلى الالتزام باحترام القانون وواجب التقيد به للحاخام يهوشع تسوكرمان (مجلة نكوداه، عدد ٧٣: ٢٥-٥-١٩٨٤) والحاخام يوئيل بن نون (المرجع السابق) وتبعهما معظم المربين في اليشيڤوت القومية الذين تصدوا بشكل خاص لخطة تفجير المسجد الأقصى ورأوا ان لأعمال العنف والأيديولوجية التي تقف وراءها أثراً تربوياً سلبياً جداً. وكان بينهم من

هاجم بعنف فكرة تسريع الخلاص واعتبروها تدخلاً في المشيئة الإلهية (المرجع السابق، عدد ٧٤: ٢١-٦-١٩٨٤).

وقد برز بين هؤلاء الحاخام ابينير مؤسس يشيڤاه «عطيرت كوهنيم» في القدس القديمة. وأبرز ما في فكرته، إضافة إلى رفض استخدام العنف، هو التمييز بين قضية بناء الهيكل وبين الموقف من احتلال مناطق أو أجزاء أخرى من مدينة القدس (دون يحيا ١٩٩٨: ص. ٤٥٦). فهو مشغول حتى هذه الأيام بالتحذير من أية خطوة قد تضر بالمسجد الأقصى ولكنه يؤيد احتلال أي موقع آخر في المدينة، وبالمقابل ما زالت هناك جماعات تؤيد وتحرض على استخدام كل الوسائل للسيطرة على «جبل الهيكل» أو المسجد الأقصى وحتى على تفجيره. ويبرز بين هؤلاء خريجو اليشيڤوت القومية وعلى رأسهم الحاخام يهودا عتسيون من واضعي خطة تفجير المسجد. وهو يستخدم في دعم موقفه نصوصاً قومية علمانية وليس نصوصاً دينية فقط مما يعني تداخل واندماج الشعور القومي والديني المتطرفين وعدم إمكانية الفصل بينهما. وهو بذلك يشذ عن وجهة النظر اليهودية الأصولية المتعارف عليها، بتياراتها المختلفة، بما في ذلك الصهيونية المتدينة المسيانية المهيمنة في يشيڤاه «مركاز هراب» (المرجع السابق: ص.٤٦٢) وصلت أزمة الفكر التي عانى منها طلاب وخريجو يشيڤاه «مركاز هراب» ذروتها مع التوقيع على اتفاقية أوسلو. فقد شكلت الاتفاقيات نقيضاً لقيمهم ومعتقداتهم ونظرتهم للعالم. خاصة أن احتلال الضفة الغربية العام ١٩٦٧ شكل بالنسبة لهؤلاء مؤشرا على عملية الخلاص المسيانية التي لا يمكن إيقافها. كذلك أوقعت الاتفاقية هؤلاء في مأزق من حيث علاقتهم بالصهيونية والدولة واليهود العلمانيين. وفي حين تعمق تطرف بعض الفئات (جماعة كهانا) والأشخاص (غولدشتاين وعمير) نتيجة لذلك فان الدمج بين موقف الخصوصية (الوحدانية) وبين الفعالية السياسية المتطرفة في أوساط المقربين من يشيڤاه «مركاز هراب» واليشيبوت القومية الأخرى يصبح معتدلا وملجماً بسبب الموقف الذي يضفي على الصهيونية وتجسيدها المؤسسي قدسية دينية. ولكن هذا لا يلغي معارضتهم لأي انسحاب من الأراضي المحتلة، وإنما هذه المعارضة لا تشمل استخدام القوة والعنف. فهم يرون أن المشكلة لا تكمن في التعاليم الدينية التي يكرسونها وإنما هي مشكلة الصهيونية العلمانية التي تأسست على أسس ضعيفة ويجب إعادة بنائها على أساس ديني. وبما أن أن القضية من أساسها هي قضية تربوية روحانية يجب التركيز على التربية.

نتيجة ترسيخ هذا التوجه هناك اليوم ميول للتقليل من الفعالية السياسية والتركيز على التربية والتعليم والقيام بالفروض الدينية في معظم اليشيڤوت القومية (المرجع السابق: ص. ٤٦٧).

يشيڤاه . . . أيضا.

وهذا التطور مرتبط بالاستراتيجية التي اتبعها رجال الدين في «مركاز هراب» واليشيڤوت القومية إثر أزمة الانسحاب من يميت والكشف عن الشبكة اليهودية. فهم يقيمون المشكلة منذ هذه الأحداث بأنها مشكلة ضعف أسس الصهيونية الذي يلزم بناؤها من جديد على أسس أكثر متانة وصلابة بواسطة العمل الدؤوب في الحقل الديني-التربوي والتركيز على تأهيل قيادة روحانية. ومعظم رجال الدين في اليشيڤوت القومية، وعلى رأسهم قياداتها مثل الحاخام طاو والحاخام ابنير، يستمدون قوة وشرعية لموقفهم هذا من التطورات التي حصلت في عملية السلام مع الفلسطينيين، حتى الانتفاضة الحالية.

رغم ذلك من الناحية الفعلية هناك مؤشرات على تعميق التطرف الديني والعزلة الاجتماعية-الثقافية حتى عن اليهود. وهذه العزلة غريبة عن أيديولوجية «مركاز هراب» الأصلية التي تدعو إلى الوحدة القومية والولاء لكل «شعب إسرائيل»، وهي تقارب الأسلوب الحريدي في الحياة.

يمكن الاستنتاج أن تقديس السيادة السياسية اليهودية حسب وجهة نظر رجال يشيڤاة «مركاز هراب» شكل دافعاً للفعالية السياسية والاستيطانية بين طلاب اليشيڤوت القومية وحركة غوش امونيم، إلا أنه شكل أيضاً عاملاً لاجما للعنصر المتطرف (الشبكة اليهودية، محاولات نسف المسجد الأقصى، أعمال العنف ضد الفلسطينيين) في أعقاب الأزمات التي مروا بها.

هناك تأثير كبير لطبيعة اليشيڤاه التي تتمسك بوجهة نظر شمولية ومواظبة تتميز بالتطرف وعدم الاستعداد للمرونة والحلول الوسط. لذلك فان شمل «الصراع على أرض إسرائيل» ضمن الأهداف التربوية في اليشيڤوت القومية أدى إلى مشاركة طلاب اليشيڤوت الفعالة في النشاط السياسي مثل الاستيطان والمظاهرات. ولكن هذه الفعالية خلقت توترا بسبب تناقضها مع طبيعة اليشيڤاه كمؤسسة تكرس نشاطها لتعليم التوراة وهي تناقض أيضاً الميول نحو العزلة والشمولية

التي تميز اليشيڤاه. ومن هنا فان الاستراتيجية التربوية التي تتبعها اليشيڤوت القومية بقيادة الحاخام طاو والحاخام أبنير تضعف العنصر المتطرف في مسيانية يشيڤاه «مركاز هراب» وهي تعني التنازل عن تحقيق الرؤيا المسيانية حالياً. هذه الاستراتيجية لا تعني التخلي عن فكرة الخلاص، بل تبقى هذه الفكرة عنصرا قويا في معتقداتهم الى جانب النظرة إلى المشروع الصهيوني ودولة اسرائيل كمؤشرات على بداية الخلاص. ولكن هناك تشديد على أن الخلاص هو عملية تدريجية وديالكتيكية، فإلى جانب الإنجازات هناك أيضاً كبوات وتراجع ومعوقات، ولذلك يفضل التحلي بالصبر والنفس الطويل والامتناع عن الأعمال المتسرعة التي يمكن أن تسبب الدمار بدل حث عملية الخلاص. تبلورت هذه النظرة من أجل مواجهة أزمات الجمهور المتدين الصهيوني، وخاصة داخل اليشيڤوت القومية، والتي تعني فعليا قبول الواقع الذي نتج عن اتفاقيات السلام مع مصر والفلسطينيين. ولكن هذا الموقف قد لا يصمد طويلاً في حالة اتخاذ قرار بإخلاء المستوطنات في الضفة والقطاع. فحتى رجال الدين المعتدلين يرفضون فكرة «اقتلاع» مستوطنات يهودية قائمة.

وهذا يعني أن الفرصة ما زالت مهيأة لنهوض التطرف السياسي النشط الذي يمكن أن يأتي بنتائج متطرفة، والتطورات المستقبلية متعلقة بقرارات الجهاز السياسي وبمواقف الجمهور الواسع.

المراجع:

أران، جدعون (١٩٨٦) من صهيونية متدينة إلى دين صهيوني: جذور وثقافة غوش إمونيم –حركة مسيانية في إسرائيل، اطروحة دكتوراة، الجامعة العبرية، القدس.

بار –ليب، مردخاي (١٩٩٨) «التوراة وديرخ إيريتس (أصول السلوك) في اليشيڤاه العصرية»، في الصهيونية المتجددة بنظرة متجددة، تحرير منير روط، إصدار أمناء التوراة والعمل، عين زوريم، ص.١٠٨–١١٤.

بن –نون، يونيل (٢٠٠٠) أدوات آخذة في الانكسار، مجلة بنيم، العدد ١٥: ص.١٠–١٨ دائرة الإحصاء المركزية، وزارة المعارف والثقافة والرياضة (١٩٩٨) المدارس الداخلية في مؤسسات التعليم الفوق –ابتدائي –التعليم العبري ١٩٩٦/١٩٩٧.

زنيشي، عامي (١٩٩٨) «التعليم الديني –الصهيوني –من المزراحي حتى التعليم الحكومي الديني»، في: الصهيونية المتدينة بنظرة متجددة، سبق ذكره، ص.١١٥–١١٨.

دغان، متتياهو (١٩٩٧) «الأسس القيمية للمدرسة الداخلية المتدينة»، في: التعليم الداخلي الحكومي –الديني في إسرائيل، القدس: وزارة المعارف والثقافة والرياضة – إدارة التعليم الديني، ص.٣٩–٦١.

دغان، متتياهو (١٩٩٩) «التعليم الحكومي –الديني: التوجهات، تطورها وتجسيدها»، في: يوبيل جهاز التعليم في إسرائيل، المجلد الثالث، تحرير إلعاد بيلد، القدس وزارة المعارف والثقافة والرياضة، ص ١٠١١–١٠٢٤.

دون يحيا، اليعازر (١٩٩٨) «أصولية دينية وتطرف سياسي: اليشيڤوت القومية في إسرائيل»، في: استقلال: الخمسين عاماً الأولى، تحرير أنيطه شبيرا، القدس: مركز زلمان شازار لدراسة تاريخ إسرائيل، ص. ٤٣١–٤٧٠.

ووزنر، ي.، غولان، م. وعراد –ديفدسون (١٩٩٦) نوعية الحياة في المدارس الداخلية للأولاد والشبيبة في إسرائيل، تل –أبيب: رموت.

ويسمان، ع. (١٩٩٠) الإخلاء، بيت إيل.

كاتس، يعقوب (١٩٩٩) «اليشيبوت الثانوية واولبناة تعليم الإناث في جهاز التعليم الفوق ابتدائي، في: يوبيل جهاز التعليم في إسرائيل، سبق ذكره، المجلد الثالث، ص ١٠٢٥–١٠٣٤.

كيل، يهودا (١٩٨٦) «أسس، تاريخ، تخبط وتوسع التعليم الحكومي –الديني»، في: التعليم الديني في سن بلوغه –ثمانون عاماً من التعليم الديني –القومي في أرض إسرائيل، تحرير: عزرئيلي، يهودا: القدس، مركز التعليم الديني في إسرائيل، ص. ١٦٣–١٨٧.

كيمرلنغ، باروخ (٢٠٠١) نهاية حكم «الأحوساليم» (الأشكناز العلمانيون الاشتراكيون القوميون)، كيتر، تل –أبيب.

كلاين، مناحم (١٩٩٨) بار –إيلان: اكاديميا، دين وسياسة، منشورات ماجنس –الجامعة العبرية، القدس.

لام، تسفي (١٩٩٧) «فكرة التعددية وتطبيقاتها في التعليم الإسرائيلي»، في: التعليم في عصر الحوار الما بعد –حداثي، تحرير ايلان غور –اريبه، منشورات ماجنس – الجامعة العبرية، القدس: ص ٢٠٧–٢٢٠.

مأور، أهرون (١٩٩٧) «محطات على طريق التعليم الداخلي الديني في إسرائيل» في: التعليم الداخلي الحكومي –الديني في إسرائيل، وزارة المعارف والثقافة والرياضة، شعبة التعليم الديني، ص. ٢٩–٣٦.

سيجال، ح. (١٩١٧) أخوة أعزاء: سيرة الشبكة اليهودية، القدس.

سيلبرمان –كلير، ديانا (٢٠٠٠) «التعليم في مجتمع متعدد الثقافات: حالة التعليم الحكومي –الديني»، في: تعليم الثقافة في مجتمع متعدد الثقافات، القدس، الجامعة العبرية، كلية التربية، ص ١٣٩–١٥٥.

ريخبلسكي، سافي (١٩٩٨) حمار المسيح، مسكال، تل –أبيب.

Gaziel, H.H. (1993) Education Policy at Crossroads Between Change and Contnuity: Education in Israel in the Past Decade, Jerusalem:

Institute for the Study of Educational System

Gottesman, M. (Ed. 1994) Recent Changes and New Trends in Extrafamilial Child Care: An International Perspective,

London: Whiting and Birch.